بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥]

لفضيلة الشيخ

علي بن عبد العزيز موسى

إِنَّ الْحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،

مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 ، 71]

أما بعد : " فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ " .

أما بعد : « فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

إن الحادث المروِّع الذي شهدته مدينةُ المنصورة صباح الثلاثاء الماضي الموافقِ الحادي والعشرين من شهر صفر لعام خمسةٍ وثلاثين بعد الأربعِ مئةٍ والألفِ مِن هجرة النبي والذي راح ضحيتُه عشرون قتيلاً وأكثرُ من مئة جريحٍ. إنها جريمةٌ بشعةٌ لا يُقرُّها دينُ

الله، ولا ترتضيها فطرةٌ سليمةٌ ؛ لما حصل فيها من قتلِ المسلمين. وترويعِ الآمنين وإفسادِ المنشآت، وإتلافِ الأموال و الممتلكات.

أيها الخوارج المارقون:

بأي دليلٍ سفكتم دماءَ المسلمين ؟!!

بأي دليلٍ أزهقتم أرواحهم ؟!!

بأي دليلٍ يَتَّمْتُمْ أطفالَهم ؟!!

بأي دليلٍ رملتم نساءهم ؟!!

بأي دليلٍ أثكلتم أمهاتِهم ؟!!

بأي دليلٍ روعتم الآمنين ؟!!

بأي دليلٍ هدمتم المنشآت ؟!!

لقد جمع هؤلاء القتلةُ المفسدون بين قتل النفوس الآمنة وبين قتلِ أنفسهم.

حقاً إنها الفتنُ التي تموجُ موجَ البحرِ.

في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ : «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ».

قال الحافظ ابن حجر في معنى « من تشرَّف لها»: أي: تطلَّع لها بأن يتصدَّى ويتعرَّض لها ولا يُعرض عنها.

أيها المسلمون:

إنَّ نعمةَ الأمن نعمةٌ عظيمةٌ. أخرج الترمذي وحسنه الألباني في « صحيح الجامع» عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

وروى الإمام أحمد في مسنده وحسَّنه الألباني في « الصحيحة» عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، قَالَ: بَعَثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، دَخَلْتُ عَلَى فُلَانٍ - نَسِيَ زِيَادٌ اسْمَهُ - فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ: « أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ : « إِنْ أَدْرَكْتَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ، فَاعْمَدْ إِلَى أُحُدٍ، فَاكْسِرْ بِهِ حَدَّ سَيْفِكَ، ثُمَّ اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ «، قَالَ: « فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَى الْبَيْتِ، فَقُمْ إِلَى الْمِخْدَعِ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ الْمِخْدَعَ فَاجْثُ

عَلَى رُكْبَتَيْكَ، وَقُلْ بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ «. فَقَدْ كَسَرْتُ حَدَّ سَيْفِي، وَقَعَدْتُ فِي بَيْتِي».

أخرج مسلم في « صحيحه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

ذكر التبريزي في كتابه» النصيحة للراعي والرعية» عن عبدِ الله بنِ المبارك قال: حقٌّ على العاقل أن لا يستخف بثلاثة:العلماء والسلطان والإخوان؛ فإنه من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

أيها المؤمنون:

إننا لا بد أن ندرك خطرَ الفتن والتباسِ الحق فيها بالباطل ورواجِ الشبهات بين يدَيها حتى تُنزَّل مَنْزِلَ المسلَّمات.

أخرج ابنُ أبي شيبة في « مصنفه» عن حُذَيْفَةَ قَالَ: « مَا الْخَمْرُ صَرْفًا بِأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الْفِتَنِ ».

وأخرج أبو نعيم في « الفتن» عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ : «تَكُونُ فِتْنَةٌ، ثُمَّ تَكُونُ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ، ثُمَّ تَكُونُ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ تَعُوجُ فِيهَا عُقُولُ الرِّجَالِ».

وأخرج ابنُ أبي شيبة في « مصنفه» قال: سُئِلَ حُذَيْفَةُ: أَيُّ الْفِتْنَةِ أَشَدُّ؟ قَالَ: «أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ لَا تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ».

إن قوماً يخرجون أيام الفتن، ينفثون سمومهم، ويصطادون في الماء العكر، يتصدرون للناس إذا غاب أهل الصدارة، فيَضلّون ويُضلون.

ولكن الفضلَ لله تعالى فقد عصم الله هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة، وجعل النجاة فيها لمن استمسك بالكتاب والسنة ولزم الجماعة.

لقد حبا اللهُ هذه الأمة نجومًا تُزيّن سماءها تهدي السالكين، وتهوي على الشياطين، إنهم العلماءُ الربانيون، أنقى صفحات تاريخ هذه الأمة، بهم يهتدي الناس، إليهم يرجعون، وعنهم يصدرون، إنهم صمام الأمان بإذن الله أمام شبهات المرجفين وزيغ الضالين.

أيها المؤمنون: لقد قلَّ الذين يرجعون إليهم في كلّ أمر ذي بال يعرض لهم، إننا اليومَ أحوجُ ما نكون إلى الرجوع إلى أهل العلم والاستماع إليهم وتوحيد الصفوف تحت راياتهم، وأن لا ندع لمغرضٍ علينا سبيلاً.

لقد قُتل صهرُ رسول الله عليٌّ بنُ أبي طالب ووالدُ الحسن والحسين ورابعُ الخلفاء الراشدين والذي منزلته من النبي منزلةُ هارون من موسى على يدِ رجلٍ قرأ القرآن على معاذ ابن جبل، وكان من العباد، ومع ذلك لَمَّا ترجم له الذهبيُّ في « السير» قال: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتلُ علي ، خارجي مفترٍ.

لقد وصفَ أحدُ شعرائهم عبدَ الرحمن بنَ مُلجم قاتلَ عليٍّ بأنه أوفى البريَّة عند الله ميزانًا – والقائلُ هو عِمران بن حِطّان الخارجي القعدي كما ذكر الحافظُ ابنُ كثير في « البداية والنهاية»– :

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهَّ مِيزَانَا

كبُرت كلمةً تخرجُ من فِيه، إن يقولُ إلاَّ كذبًا. وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي أَبْيَاتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى قَافِيَتِهَا وَوَزْنِهَا فقال:

بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خُسْرَانَا إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ أَشْقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهَّ مِيزَانَا

أيها المسلمون:

إنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم لم يثنِهم فعلُ الخوارج عن زيادةِ تمسُّكهم بدينهم واستلهامِ لُطفِ الله ورحمته بهم والثباتِ على الدين رغمَ ما اعتراهم من نوابتَ شذّت عن سوادِهم الأعظم.

أيها الشّبابُ:

لقد ذكَّرناكم كثيراً بوجوب السمع والطاعة لولاة الأمور وعدمِ الخروج عليهم، فاحذروا بارك الله فيكم التعاطفَ مع هؤلاء الخوارجِ الخونةِ.

وهاكم ـ رعاكم الله ـ قصّةً يتجلّى فيها موقفُ العلم إزاءَ العاطفة. روى الإمامُ البخاري رحمه الله وذلك عندما توفِّي النبيُّ وماج الناس بين مصدِّق ومكذّب والعاطفة تقتضي الرّغبةَ في عدم التصديق، حتى قام عمر بن الخطاب في المسجدِ يهدّد ويتوعد من يقول: إنّ رسول الله قد مات وذلك لهولِ الفاجعة وعِظم المصيبة، فجاء أبو بكر كما روى البخاري في « صحيحه» عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: « أَمَّا

بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَّ فَإِنَّ اللهَّ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللهُّ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] وَقَالَ: وَاللهَّ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا « فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: «وَاللهَّ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ مَاتَ».

قال ابن حجر: «وفي الحديث قوّةُ جأش أبي بكر وكثرة عِلمه.اهـ

وانظر كيفَ سارع عمر بالرّجوع وتخلّى عن تلك العاطفةِ عندما بلغه النصّ الشرعيّ الفاصل.

وإلى ولاة أمورنا وأولياء الضحايا:

نقدِّم عزاءنا المخلِص ودعواتِنا ومواساتِنا الصادقةَ أنْ يرحم الله أمواتَهم، وأن يكتَبهم في عِداد الشهداءِ الأبرار، وأن يبوّأهم منازلَ الصديقين والأخيار، وأن يُعجّل بشفاءِ مرضاهم ومُصابَهم وجَرحاهم، وحفِظ الله بلادنا من كل شرٍّ وسوءٍ، فلن تزيدَها تلك الأعمال الإجراميّة بحول الله إلا تماسُكًا وثباتًا.

ألا شاهت وجوهُ المجرمين المعتدين.